ritage Manuscripts & Documents Center
مركز المخطوطات والتراث والوثائق

الرقم المسلسل ..... تاريخ التصوير .....

اسم الكتاب: اثبات صفة العلو الذاتي لله سبحانه وتعالى

اسم المؤلف: ابن تيميه

رقمه العام: 4413

الفن: عقيده

الأجزاء: (1)

عدد الأوراق: ٤١ ورقه مقاسه: .....

مصدر الكتاب: مصر تاريخ الخط: ١٣٤١هـ

الملاحظات: كتبت بخط النسخ الجيد الواضح
وحالة المخطوط جيده جداً .

الرقم:
التاريخ:
تلفون: ٥٣٢٠٩٠٠

شروط للمستفيد:

١ ـ عند التحقيق تهدى نسخة للمركز .

٢ ـ أن يذكر نسخة المركز هذه .

٣ ـ في حالة عدم تحقيقها من المستفيد عليه أن يعلم من سيستفيد منها بهذه الشروط .

20900 - 5320901 - 5926362
3904 Safat 13040 Kuwait
iyah - Block 6 St.9 No.279

هاتف: ٥٣٢٠٩٠٠ - ٥٣٢٠٩٠١ - ٥٣٢٦٣٦٢
ص.ب: ٢٩٠١ الصفاة 13040 الكويت
الجابرية قطعة ٦ ش ٩ رقم ٢٧٩ ـ فاكس ٥٣٢٠٩٠٢

هذه رسالة شريفة في اثبات صفة العلو
الذاتي لله سبحانه وتعالى على عرشه المجيد
ومباينته لخلقه للإمام شيخ الإسلام
الحافظ تقي الدين ابي العباس
احمد بن عبد الحليم بن
عبد السلام بن تيميه
المتوفى سنة ٧٢٨
ه

مجموع الفتاوى ١٥

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله المنزه عن الحلول والاتحاد بمخلوقاته المتعالي عن التعطيل والإلحاد والتمثيل في صفاته وأشهد أن لا إله إلا الله العلي بذاته المستوي على عرشه فوق سمواته وأشهد أن محمدا عبده ورسوله الهادي بآيات أياته المبين لمباينة باريه عن بريته عليه أفضل صلواته وتحياته وعلى آله وصحبه التابعين له في حياته وبعد مماته . وبعد فيقول كاتبها لما لم يجب أحد عن أبياته وحق للحق أن يبين هداته من عداته عرضت على إمام أئمة المسلمين عالم علماء العالمين شيخ الملة الإسلامية أبي العباس أحمد بن تيمية فبين بما خصه الله وأهداه إليه من هداه وأوضح المسألة وأقسامها وأحكام الأبيات وأحكامها ومجج جواب النفاة وألزامها ونهج أصحاب الإثبات وأبرامها لازال مؤيد المدد ومؤيد المدد . وهي هذه

يا سادة العلماء افتونا بما : يشفي العليل فما أصبى وأسن

عن قول ناظم عقد أصل عقيدة :: في حق حق الحق ليس يداهن
يا منكرا أن الإله مباين :: للخلق يا مفتون بل يا فتن
هب قد ضللت فأين أنت فإن تكن :: أنت المباين فهو أيضا بائن
أو قلت لست مباينا قلنا إذا :: فبالاتحاد أو الحلول نستاحن
أو قلت يلزم منه شيء قد خلا :: قلنا إذا فالرب فينا ساكن
أو قلت يلزم أنه في حيز :: أو صار في جهة فعقلك واهن
فلقد كذبت فإنه لا حيز :: إلا مكان وهو عنه بائن
وكذا الجهات فإنها عدمية :: في حقه والحق في ذا بائن
إذ ليس فوق الخلق شيء غيره :: حتى يعد وهو فيه قاطن
أو قلت ما هو داخل أو خارج :: هذا يدل بأنه ما كائن
إذ قد جمعت نقائصا ووصفته :: عدما بها هل أنت عنها ظاعن
ما قال ما هو ظاهر أو باطن :: لكنه هو ظاهر هو باطن
فارجع وتب من قال مثلك أنه :: لمعطل والكفر فيه كامن
وتفضلوا بجوابه من أنتم :: هل صادق فيما ادعى أو مائن فيما ادعى

فصلا بفضل ظاهر فالله للسمفتى المصيب بخير أجر ضامن

تعالى فأجاب رضى الله عنه

الحمد لله رب العالمين . جواب المنازعين عن متن هذا الكلام أنهم يقولون هذا الكلام يتضمن شيئين أحدهما الإستدلال على أن الرب تعالى مباين للعالم خارج عنه والثانى الجواب عن حجة من نفى ذلك واستدل بأن ذلك يستلزم القول بالتحيز والجهة وهما باطلان وبطلان اللازم يقتضى بطلان الملزوم فأما إستدلاله فإن مضمونه أنك إما أن تكون مباينا للخالق وإما أن تكون لست مباينا له فإن قلت إنك مباين لزم أيضا أن يكون مباينا لك لأن المباينة من باب المفاعلة التى يلزم من ثبوتها فى أحد الجانبين ثبوتها فى الجانب الآخر عقلا وكذلك هو فى اللغة إلا فى مواضع قيل إنها مستثناة بل متأولة مثل قولهم عاقبت اللص وطارقت النعل وعافاك ونحو ذلك فإن قلت لست مباينا له لزمك القول بالحلول

أو الاتحاد فإنما مالم يكن مباينا لغيره متميزا عنه كان مجمعا له مجامعا
مداخلا له بحيث هو فيمحايثه ويجامعه ويداخله كما تحايث الصفة
محلها الذى قامت به والصفة المشاركة لها فى القيام به فان التفاحة
مثلا طعمها ولونها ليس بمباين لها بل هو محايث لها ومجامع لها وكذلك
الطعم محايث للون والمباينة هى المفارقة وهى ضد المجامعة فلما
كانت الصفة التى تسمى العرض تحايث محلها الذى يسمى الجسم وتحايث
عرضا آخر كان من المعلوم ان مثل هذا منتف عن الله سبحانه وتعالى
فإنه ليس بعرض ولا صفة من الصفات بل هو قائم بنفسه مستغن مستغن
عن محل يقوم به فلا يجوز عليه محايثة المخلوقات والحلول فيها
وكذلك الاتحاد فإن الاتحاد إن كان مع بقاء الاثنين على ما كان
عليه فلا اتحاد بل هما اثنان باقيان على صفاتهما كما كانا وإن
عنى به إستحالة إلى نوع ثالث كما يتحد الماء واللبن والماء والخمر
فيصيران نوع ثالثا لا هو ماء محض ولا لبن محض فهذا لا يكون
إلا بعد إستحالة أحدهما وفساد يعرض لذاته والله تعالى
منزه عن ذلك فإنه واجب الوجود بنفسه قديم بذاته وصفاته
لا يجوز عليه عدم شئ من صفاته فتمتنع فى حقه الاستحاله

والفساد وهضمون الدليل أن المخلوق إما أن يكون مباينا للخالق والخالق
مباينا له وإما أن يلزم الحلول والاتحاد وهما باطلان فتعين الأول واعتراف
المنازع على هذا يكون بعد بيان معنى المباينة فإن أهل الكلام والنظر
يطلقون المباينة بإزاء ثلاثة معان بل أربعة أحدها المباينة المقابلة
للمماثلة والمشابهة والمقاربة والثانى المباينة المقابلة للمحايثة والمجامعة
والمداخلة والممازجة والمخالطة والثالث المباينة المقابلة للمماسة والملاصقة
فهذه المباينة أخص من التى قبلها فإن مباين الشئ فلم يداخله قد يكون
مما ساله متصلا به وقد يكون منفصلا عن غير مجاور له وهذه المباينة
الثالثة ومقابلها تستعمل فيما يقوم بنفسه خاصة كالأجسام فيقال
هذه العين إما أن تكون مماسة لهذه وإما أن تكون مباينة لها وأما
المباينة التى قبلها ومقابلها فإنها تعم ما يقوم بنفسه وما يقوم بغيره
فالعرض القائم بغيره ليس مباينا له ولا يقال أنه مماس له فيقال هذا
اللون إما أن يكون مباينا لهذه العين أو لهذا الطعم وإما أن يكون
محاينا له مجامعا مداخلا ونحو ذلك من العبارات وإن استعمل
مستعمل لفظ المماسة والملاصقة فى قيام الصفة بموصوفها كان
ذلك نزاعا لفظيا وأما النوع الأول فكما يروى عن الحسن البصرى
أنه قال رأيناهم متقاربين فى العافية فإذا جاء البلاء تباينوا تباينا

عظيما أى تفاضلوا وتفاوتوا ويقال هذا بان عن نظرائه أى خرج
عن مماثلتهم ومشابهتهم ومقاربتهم بما أمتاز به من الفضائل ويقال
بين هذا وهذا بون بعيد وبين بعيد والنوع الثانى كقول عبد الله بن
المبارك لما قيل له بماذا نعرف ربنا قال بانه فوق سمواته على عرشه
بائن من خلقه ولا نقول كما قالت الجهمية أنه هاهنا وكذلك قال
أحمد بن حنبل واسحق بن راهويه والبخارى وابن خزيمه وعثمان
ابن سعيد وخلق كثير من أئمة المسلمين ولم ينقل عن أحد من السلف
خلاف ذلك وحبس هشام بن عبيد الله الرازى رجلا حتى يقول
الرحمن على العرش استوى ثم أخرجه وقد أقر بذلك فقال تقول
أنه مباين فقال لا قال ردوه فإنه جهمى فالمباينة فى كلام هؤلاء
الأئمة وأمثالهم لم يريدوا بها عدم المماثلة فانهم قالوا بائن من خلقه
ولم يقولوا بائن من العرش وحده فجعلوا المباينه من المخلوقات عموما
ودخل فى ذلك العرش وغيره فإنه من المخلوقات فعلم أنه لم يتعرضوا
فى هذه المباينه لاثبات ملاصقة ولا نفيها ولكن قد يقول بعض النفاة
أنا أريد بالمباينة عدم المحايثة والمداخلة فقط من غير أن أدخل

فإن هذا لم ينازع فيه أحد ولا الزموا الناس بأن يقروا بالمباينة الخاصة

فى ذلك عدم الخروج وقد يوصف المعدوم بمثل هذه المباينة فنقول أن المعدوم مباين للموجود بهذا الاعتبار وهذا معنى رابع من معنى المباينة واذا عرف أن المباينة قد يريد بها الناس هذا وهذا فلا ريب أن المعنى الاول ثابت باتفاق الناس فانهم متفقون على أن الله ليس له مثل من الموجودات وأنه مباينته للمخلوقين فى صفاتهم أعظم من مباينة كل مخلوق لمخلوق وأنه أعظم وأكبر من أن يكون مماثلا لشئ من المخلوقات أو مقاربا له فى صفاته لكن هذا المعنى ليس هو الذى قصده الناظم ولا قصد أيضا المعنى الثالث لأنه جعل نفى المباينة يستلزم الحلول أو الاتحاد وهذا إنما المعنى الثانى وإلا فالمعنى الثالث يستلزم الملاصقة والمماسة والناظم لم يذكر ذلك وهذا المعنى الثالث يستلزم الثانى من غير عكس فان المباينة الخاصة المقابلة للملاصقة صفة تستلزم المباينة العامة المقابلة للمداخلة والمحايثة من غير عكس واذا عرف أن الناظم أراد هذه المباينة العامة وهى المباينة المشهورة فى اللغة وكلام الناس وكلام العلماء فان المنازعين له يقولون لا نسلم أنه إذا لم يكن مباينا لزم الحلول والاتحاد فان هذا مثل قول القائل اذا لم يكن خارجا عن العالم كان داخلا فيه وقد علم أن المخالف له يقول لا هو داخل العالم ولا

فوله عدم الخروج لعل أصله بحذف عدم

خارجه وكذلك يقول لامباين ولامحايث ولامجامع ولامفارق ويقول
إنما نفيت المباينة والمحايثة جميعا والحلول والاتحاد داخلان فى المحايثة
فلا أسلم إذا لم أكن مباينا للخالق أن يكون حالا أو متحدا به وهذا
معلوم من قول النفاة فإن النفاة الذين يقولون أن الخالق ليس فوق
العالم ولاخارجا عنه مباينا له منهم من يقول أنه حال فيه أو متحد
به وأنه فى كل مكان بذاته كما يقول بذلك طوائف من عبادهم ومتكلميهم
وصوفيتهم وعامتهم ومنهم من يقول ليس هو داخلا فيه ولاخارجا
عنه ولامباينا له وليس فى مكان من الأمكنة فهؤلاء ينفون عنه
الوصفين المتقابلين جميعا وهذا قول طوائف من المتكلمين ونظارهم والأول
هو الغالب على عامتهم وعبادهم وأهل المعرفة والتحقيق منهم والثانى
هو الغالب على نظارهم ومتكلميهم وأهل البحث منهم وكثير منهم يجمع
بين القولين ففى حال نظره وبحثه يقول بسلب الوصفين المتقابلين
كليهما فيقول لاهو داخل العالم ولاخارجه وفى حال تعبده وتألهه
يقول بانه فى كل مكان ولايخلو منه شئ حتى يصرح بالحلول فى كل
موجود من البهائم وغيرها بل بالاتحاد بكل شئ بل يقولون بالوحدة
التى معناها أنه عين وجود الموجودات وسبب ذلك أن الدعاء والعبادة
والقصد والارادة تطلب موجودا بخلاف مجرد النظر والبحث والكلام
فان العلم والكلام والبحث والقياس والنظر تتعلق بالموجود والمعدوم

فاذا لم يكن القلب فى عبادة وتوجه ودعاء سهل عليه النفى والسلب واعرض عن الاثبات بخلاف ما اذا كان فى حال الدعاء والعبادة فانه يطلب موجودا يقصده ويسأله ويعبده والسلب لا يقتضى الا النفى والعدم فلا يبقى فى السلب ما يكون مقصودا معبودا فالمخالف لهذا الناظم اذا كان من النفاة

للمتقابلين يقول أنا أقول لا هو مباين ولا أقول بالحلول والاتحاد فلم قلت أنه اذا لم أقل بالمباينة يلزمنى القول بالحلول والاتحاد هذا هو الذى يقوله أئمة النفاة مثل هذا الناظم وحينئذ فيقول المثبتة القائلون بالمباينة والخروج ومن قال من النفاة أنه فى كل مكان وهو الظاهر من قولهم وقول محققيهم وعارفيهم نحن نعلم بالضرورة أن الموجود اما ان يكون مباينا واما ان يكون محايثا ونعلم بالضرورة أن من اثبت موجودين ليس أحدهما داخلا فى الآخر محايثا له ولا خارجا عنه مباينا له فقد خالف ضرورة العقل وهذا العلم مركوز فى فطر جميع الناس الا من يقلد قول النفاة ونفى هذين جميعا هو من اقوال القرامطة الباطنية الذين هم أئمة الجهمية فان جهما مع القرامطة وغلاة المتفلسفة يقول لا نقول هو شئ ولا ليس بشئ كما يقولون لا هو موجود ولا معدوم ولا حى ولا ميت ولا عالم ولا جاهل ولا قديم ولا محدث وأمثال ذلك وهذه المقالات فسادها معلوم بالضرورة العقلية وان كان قد تواطأ عليها جماعة كثيرة فان الجماعة

المتفلسفة

الذين تقلد وا مذهبا تلقاه بعضهم عن بعض يجوز اتفاقهم على جحد الضروريات
كما يجوز الاتفاق على الكذب مع المواطأة والاتفاق ولهذا يوجد في أهل
المذاهب الباطلة كالنصارى والرافضة والفلاسفة من يصر على القول
الذي يعلم فساده بالضرورة وأنما الممتنع ما يمتنع على أهل التواتر وهو
اتفاق الجماعة العظيمة على الكذب من غير مواطأة ولا اتفاق فيمتنع
عليهم جحد ما يعلم ثبوته بالاضطرار وأهل التواتر لا يتصور منهم الكذب
فأما اذا اقتنوا قولا بشبهة وحجة واعتقدوا صحته جاز أن يصروا على
اعتقاده وأن كان مخالفا لضرورة العقل وان كانوا جماعة عظيمة ولهذا
يطبع الله على قلوب الكافرين قال الله تعالى (ونقلب أفئدتهم وأبصارهم
كما لم يؤمنوا به أول مرة) وقال تعالى (فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم)
وقال تعالى (يطبع الله على قلب متكبر جبار) (يطبع الله على كل قلب متكبر جبار)
وأنما تؤخذ الضروريات من القلوب السليمة والعقول المستقيمة التي
لم تمرض بما تقلدته من العقائد وتعودته من المقاصد والمنبئة يقولون
من ذكر له قول النقاة من أجناس بني آدم السليمة الفطرة علم بالضرورة
فسادها وكلما كان أزكى وأجد ذهنا كان علمه بفساده أشد بل هم
يقولون أن العلم بالقضية المعينة المطلوب اثباتها وهو علو الله تعالى
على العالم معلوم بالفطرة والضرورة ويعلم بطلان نقيضها بالفطرة
والضرورة فيعلمون أن الخالق فوق العالم ويعلمون امتناع وجود
موجودين ليس أحدهما مباينا للآخر ولا مداخلا له ويعلمون أنه

أي الجماعة

أذ لم يكن مباينا كان مداخلا محايثا فيلزم الحلول والاتحاد ولا ريب
أن هذا هو الذى عليه جماهير الأمم من بنى آدم أما من أثبت العلو والمباينة
فقوله ظاهر وأما الذين لا يقرون بالعلو والمباينة فجمهورهم لا يعلمون
ضد ذلك إلا أنه فى كل مكان ولو عرض عليهم نفى هذا وهذا لم يتصوروه
ولم يعقلوه وبهذا احتج أهل الحلول والاتحاد من محققيهم كالصدر القونوى
وأمثاله على نفاة ذلك منهم فقال قد سلمتم لنا أنه ليس خارج العالم
ولا مباينا له ومالم يكن كذلك لم يعقل إلا أن يكون وجود الممكنات
أو فى وجود الممكنات أذ لا يعقل إلا هذا أو هذا ثم هذا وأمثاله يقولون
هو الموجود المطلق وأن فرق ما بينه وبين الأشياء فرق ما بين المطلق
والمعين وهذا يشبه الفرق بين جنس الانسان وأعيان الناس
وجنس الحيوان وأعيان الحيوانات فيكون الرب مثل الجنس أو العرض
العام لسائر الموجودات ومعلوم أن هذا لا يكون له وجود متميز بنفسه
مباين لمخلوقاته أذ الكليات كالجنس والنوع والفصل والخاصة والعرض
العام لا توجد فى الخارج منفصلة عن الاعيان الموجودة وهذا معلوم
بالضرورة ومتفق عليه بين العقلاء وانما يحكى الخلاف فى ذلك عن
شيعة أفلاطون ونحوه الذين يقولون بأثبات المثل الافلاطونيه وهى
الكليات المجردة عن الأعيان خارج الذهن وعن شيعة فيثاغورث فى
أثبات العدد المطلق خارج الذهن والمعلم الاول أرسطو واتباعه
متفقون على بطلان قول هؤلاء وهؤلاء فلو ظنوا أن البارى هو
الموجود المطلق بهذا الاعتبار لوقفوا فيما فروا منه فأن هذا يستلزم

مباينة لوجود المخلوقات وانفصاله عنه مع أن عاقلا لا يقول أن الصفة تكون مبدعة للموصوف ولا أن الكليات هي المبدعة لمعيناتها والمقصود هنا أن جماهير الخلائق من مثبتة علو الله على خلقه ومن نفاة ذلك على اختلاف اصنافهم يقولون باثبات هذا التقسيم والحصر وهو أن الشئ أما أن يكون مباينا لغيره وأما أن يكون محايثا مداخلا له فاذا انتفى أحدهما ثبت الآخر ويقولون أن هذا معلوم بالضرورة قال النفاة لا نسلم أن هذه القضية ضرورية بدليل أنا نعقل الانسانية المشتركة بين الأناسي وغيرها من الكليات المعقولة وغيرها وليست داخل العالم ولا خارجه وأيضا فأن أرسطو وأتباعه من الفلاسفة وطائفة من أهل الكلام أثبتوا أن النفس الناطقة كذلك وكذا العقول والنفوس ولم يكونوا قائلين ما يعلم فساده بالضرورة وأيضا فأن العقل الصريح يعلم تقسيم الشئ الى مباين ومحايث وما ليس بمباين ولا محايث وتقسيمه الى داخل وخارج وما ليس بداخل ولا خارج وتقسيمه الى متحيز وقائم بالمتحيز وما ليس وما ليس بمتحيز ولا قائم بالمتحيز فلا يعلم فساد هذا التقسيم بالاضطرار كما يعلم أن الواحد نصف الاثنين وأيضا فهذا الذى ذكروه من لزوم المباينة أو المحايثة والدخول أو الخروج انما يعقل فيما هو جسم متحيز فاذا قدرنا متحيزين لزم أما ان يكون أحدهما داخلا فى الآخر أو خارجا عنه فأما اذا قدرنا موجودا ليس بجسم ولا متحيز لم يمتنع أن لا يكون مباينا لغيره ولا محايثا ولا داخلا فيه ولا خارجا عنه بل ينفى عنه القسمان وحينئذ فهذا التقسيم والحصر يستلزم كون البارى

جسما متحيزا وذلك باطل ولا نريد بالمتحيز أن يكون قد أحاط به حيز وجودي
كما أجاب عنه الناظم بل نريد بالمتحيز الذي في الجهة بحيث يشار إليه بالحس أنه هاهنا
أو هناك ولا ريب أنها فوق العالم فلابد أن يشار إليه بأنه هناك وهذا هو القول
بالتحيز والجهة عندنا وإذا كان هذا التقسيم مستلزما لإثبات الجهة والتحيز
لم يكن هذا التقسيم صحيحا إلا أن يكون القول بالجهة والتحيز صحيحا والناظم لم
يذكر دليلا على صحة القول بالتحيز والجهة والجسم ثم نقول الأدلة النظرية
الدالة على نفي التحيز والجهة والجسم تنفي صحة هذا التقسيم والحصر فإنه إذا
قدر موجود ليس بجسم ولا متحيز ولا في جهة أمكن أن يعقل أنه ليس مباينا
لغيره ولا محايثا له وإذا كان كذلك فكل ما ينفي القول بالتحيز والتجسيم
يبطل هذا الاستدلال إذ القول بنفي التجسيم مع إثبات هذا التقسيم تناقض
بين وإذا كان هذا القول مستلزما للتجسيم لزمه ما يلزم القائلين بالتجسيم
وقد خاطب نفاة ذلك بأنهم مفتونون وفاتنون وادعى أن من قال
ذلك فإنه معطل وأن الكفر في قوله كامن وهذا يستلزم تكفير من نفى
التجسيم وقد علم ما في هذا القول من الوبال العظيم قالت المثبتة نحن نجيبكم
بجوابين إجمالي وتفصيلي أما الجواب الإجمالي فإنا نقول قولكم لا نسلم أن هذه
القضية ضرورية منع غير مقبول فإنا نقول لكم لا فإن المقدمات الضرورية
لا يجوز منعها ولو جاز منع الضروريات لم يمكن الاستدلال ولا إقامة
حجة على منكر فإن المستدل لا بد له أن يستدل بدليل مؤلف من مقدمات
ضرورية فلو جاز منع الضروريات لم يمكن الاستدلال بحال وكذلك
ما ذكر من الاستدلال على أنها ليست بضرورية أو ليست بصحيحة
لا يقبل أيضا فإن الضروريات هي الأصل للنظريات فلو جاز القدح

فى الضروريات بالنظريات لكان ذلك قدحا فى الأصل بفرعه وذلك
يستلزم بطلان الفرع والأصل جميعا فان الفرع ان كان فاسدا لم تجز المعارضة
به وان كان صحيحا لزم أن يكون أصله صحيحا فلا يجوز ان يكون قادحا فى
الأصل فثبت أنه على التقديرين لا يجوز معارضة الضروريات بالنظريات
فان قيل فهب أنه لا يجوز فى المقدمات الضرورية أن تمانع ولا أن تعارض
بالنظريات فاذا ادعى المستدل أن المقدمة ضرورية فهل يكون قوله حجة
على مناظره قيل ليس مجرد دعواه الضرورة حجة على خصمه لكن من علم أن
القضية ضرورية فقد حصل له العلم بذلك وهو لا يكابر نفسه فسواء علمها
غيره أو لم يعلمها وسواء سلمها له أو نازعه فيها فما علمه هو ضرورة لا يمكن
أن يشك فيه وأما طريق الزامه لمنازعه فبأن يستشهد على ذلك بتسليم ارباب
القلوب السليمة التى لا هوى لها ولا اعتقاد يخالف ذلك تقريبا ان هذه القضية
معلومة عندهم بالضرورة علم أن الامر كذلك وان المنازع فيها قد تغيرت
فطرته التى فطر عليها لاعتقاد أو هوى وأن الحس كما قد يعرض له ما يوجب
غلطه فكذلك العقل قد يعرض له ما يوجب غلطه ومما يبين ان هذه القضية
حق ان الكتب المنزلة من السماء وجميع الأنبياء جاءوا بما يوافقها لا بما يخالفها
وكذلك سلف هذه الأمة من الصحابة والتابعين وتابعيهم يوافقون
مقتضاها ولا يخالفونها ولم يخالف هذه القضية الضرورية من له فى الأمة
لسان صدق بل اكثر اهل الكلام والفلسفة يقولون بموجبها وانما خالفها
طائفة من المتفلسفة وطائفة من المتكلمين كالمعتزلة ومن اتبعهم والذين
خالفوها عقلا وهم وعلما وهم تناقضوا ﴿ وادعوا الضرورة فى قضايا
من جنسها أبين منها ومن أنكر منهم ذلك آل به الامر الى جحد عامة
الضروريات والحسيات فالمنكر لهذه القضية الضرورية هو بين أمرين
أما ان يلتزم جحد عامة الضروريات وأما أن يقر بقضايا من جنسها

فى ذلك

لم يعارضها عقد ولا فصد فخالف فطرتها واذا كان اهل العقول السليمة التى

ضرورية دون هذه في القوة والجلاء بيان ذلك أن الذين قالوا أن الخالق سبحانه
ليس هو بجسم ولا متحيز تنازعوا بعد ذلك هل هو فوق العالم أو ليس فوق العالم
فقال طوائف كثيرة هو فوق العالم بل هو فوق العرش وهو مع هذا ليس بجسم
ولا متحيز وهذا يقوله طوائف من الكلابية والكرامية والأشعرية وطوائف
من أتباع الأئمة من الحنفية والمالكية والشافعية والحنبلية والصوفية وهذا
هو الذي حكاه الأشعري عن أهل الحديث والسنة وقال طوائف منهم ليس هو
فوق العالم ولا فوق شيء أصلا ولا فوق العرش شيء وهذا قول الجهمية
والمعتزلة وطوائف من متأخري الأشعرية والفلاسفة الثناة والقرامطة
الباطنية وقد وافقهم على ذلك طائفة من الحنفية والمالكية والشافعية
والحنبلية ومتأخري أهل الحديث والصوفية ثم هؤلاء الذين ينفون علوه
بنفسه على العالم هم في رؤيته على قولين منهم من يقول بأنه يجوز رؤيته وذلك
واقع في الآخرة وهذا أقول من انتسب إلى السنة والجماعة من طوائف أهل الكلام
وغيرهم كالكلابية والكرامية والأشعرية وقول أهل الحديث قاطبة ومشيوخ الصوفية
وهو المشهور عن أتباع الأئمة الأربعة وغيرهم من الفقهاء وعامة هؤلاء يثبتون
الصفات كالعلم والقدرة ونحو ذلك ومنهم طائفة ينفون الصفات مع دعواهم
أنهم يثبتون الرؤية كابن حزم وأبي حامد في بعض أقواله والقول الثاني قول
من ينكر الرؤية كالمعتزلة وأمثالهم من الجهمية المحضة من المتفلسفة والقرامطة
وغيرهم وكذلك ينفون الصفات ويقولون بإثبات ذات بلا صفات وهل
يوصف بالأحوال على قولين ويقولون بإثبات وجود مطلق بشرط الإطلاق لا يوصف
بشيء من الأمور الثبوتية كما هو قول ابن سينا وأمثاله مع قولهم في أصولهم
المنطقية أن المطلق بشرط الإطلاق وجوده في الأذهان لا في الأعيان
ومن أتباع هؤلاء من الاتحادية والحلولية يقول هو الوجود المطلق لا بشرط
الإطلاق والمطلق لا بشرط الإطلاق يوجد في الخارج ولكنه هو نفس

وأهل الحديث

المعين أو كلى مقارن للمعين والصواب عندهم هو الأول ولكن الثانى هو قول لكثير من أهل المنطق مع تناقض أقوالهم فى ذلك وبنوا على ذلك من الجهالات ما لا يحصيه إلا الله كما قد بسط فى غير هذا الموضع وعلى هذا فإذا جعل هو الوجود المطلق لا بشرط الإطلاق وقيل أن المطلق جزء من المعين ملازماله كان الوجود الواجب جزءًا من الموجودات الممكنة وإذا قيل ليس فى الخارج مطلق مغاير للأعيان الموجودة وهو الصواب أذ ليس فى هذا الإنسان جواهر تعد وما يوصف به فإذا قيل هو جسم حساس قائم متحرك بالإرادة ناطق لم يكن الإنسان المعين جواهر قائمة بنفسها غير ذلك المعين وهذا معلوم بالضرورة وعلى هذا فإذا قيل أن الحق هو الوجود المطلق لا بشرط الإطلاق كان الوجود الواجب هو عين وجود الممكنات فلا يكون هناك موجودان أحدهما واجب والآخر ممكن وهذا قول أهل الوحدة وهو تصريح بنفى واجب الوجود المبدع للموجودات الممكنة وتصريح بأن الوجود الواجب يقبل العدم والحدوث لما نشاهده من حدوث الحوادث وعدمها وهذا مع أنه كفر صريح فهو من أعظم الجهل القبيح وكل من قال أن الرب وجود مطلق لزمه هذه الأقوال ونحوها التى مضمونها نفى وجوده وكذلك إثبات ذات مجردة عن جميع الصفات أمر يقدره الذهن والا فوجوده فى الخارج ممتنع ولفظ ذات يقتضى ذلك فإن ذات هى فى الأصل ثابت ذو وأصل الكلمة ذات الصفات أى المتعين ذات الصفات فلفظ ذات معناه ليس اصله ذو ه الصاحبة والمستلزمة للصفات هذا من جهة اللفظ وأما من جهة المعنى فلأن كل موجود لابد له من حقيقة يختص بها يتميز بها عما سواه وكل من الموجودات يقال له ذات فكلها مشتركة فى مسمى الذات كما هى مشتركة فى مسمى الوجود فلابد ان يكون لكل من الذاتين ما تختص به عن الأخرى كما أنه لابد لكل من الموجودين ما يميزه عن الآخر فإذا قدر ذات مطلقة لا اختصاص لها كان ذلك

ممتنعا كوجود مطلق لا اختصاص له فلا بد أن تختص كل ذات بما يخصها وذلك الذي يخصها ما توصف به من الخصائص فذات لا خصيصة لها توصف بها محال والكلام على هذا مبسوط في غير هذا الموضع والمقصود التنبيه على مجامع مقالات الناس في هذا المقام وأن جميع الناس يلزمهم القول بهذه القضية الضرورية التي ذكرها أهل الاثبات وهي امتناع وجود موجودين ليس أحدهما داخلا في الآخر ولا خارجا عنه ولا مباينا له ولا محايثا له وامتناع وجود موجود لا يشار اليه ولا الى محله وأن من أنكر هذه القضية لزمه أحد أمرين أما الاقرار بقضايا ضرورية هذه أبين منها وأما جحد عامة القضايا الضرورية وذكرت مقالات الناس ليتبين مناظرة بعضهم لبعض في هذا المقام فيقول المثبتون لمباينته للعالم وعلوه عليه المنكرون لكونه جسما أو متحيزا هو فوق العرش مستو على عرشه ليس بجسم ولا متحيز فاستواؤه على العرش ثابت بالسمع وعلوه ومباينته معلوم بالعقل مع السمع وإذا لم يكن متحيزا بطل دلائل النفاة لكونه على العرش كقولهم أما ان يكون اكبر من العرش وأما ان يكون أصغر وأما أن يكون مساويا للعرش وكقولهم إذا كان كذلك كان له مقدار مخصوص فيستدعي مخصصا ونحو ذلك فان المثبتة تقول لهم هذا انما يلزم اذا كان جسما متحيزا فاما اذا كان فوق العرش ولم يكن جسما متحيزا لم يلزم شيء من هذه اللوازم وحينئذ فنفاة العلو هم بين امرين أن سلموا أنه على العرش مع أنه ليس بجسم ولا متحيز بطل كل دليل لهم على نفي علوه على عرشه فانهم انما بنوا ذلك على أن علوه على العرش مستلزم لكونه جسما متحيزا واللازم منتف فينتفي الملزوم فاذا لم تثبت الملازمة لم يكن لهم دليل على النفي ولا يبقى للنصوص الواردة في الكتاب والسنة باثبات علوه على العالم ما يعارضها وهذا هو المطلوب وان قالوا متى قلت هو العرش

لزم ان يكون متحيزا أو جوهرا منفردا واثبات العلو على العرش مع نفى التحيز معلوم الفساد بالضرورة قيل لهم لاريب أن هذا القول أقرب الى العقول من اثبات موجود لا داخل العالم ولا خارجه فانا اذا عرضنا على عقول العقلاء قول قائلين أحدهما يقول بوجود موجود لا داخل العالم ولا خارجه وآخر يقول بوجود موجود خارج العالم وليس بجسم كان القول الاول أبعد عن العقول وكانت الفطرة والضرورة للاول أعظم انكارا فان كان حكم هذه الفطرة والضرورة مقبولا لزم بطلان الاول وان لم يكن مقبولا لم يجز انكارهم للقول الثانى وعلى التقديرين لا يبقى لهم حجة على أنه ليس بخارج العالم وهو المطلوب وهذا تقرير لاحيلة لهم فيه تبين به تناقض أصولهم وأنهم يقبلون حكم الفطرة ويردونه بالتشهى والتحكم بل يردون من أحكام الفطرة والضرورة ما هو أقوى وأبين وأجلى للعقول مما يقبلونه والمقصود هنا بيان أنه مباين للعالم خارج عنه وهم انما ينفون ذلك بأنه يستلزم أن يكون متحيزا اما جسما واما جوهرا منفردا وذلك أن كان ما يحاذى هذا الجانب من العرش غير ما يحاذى هذا الجانب كان منقسما وكان جسما وان لم يكن غيره كان فى الصغر بمنزلة الجوهر الفرد وهذا لا يقوله عاقلا فاذا قال لهم طوائف من المثبتة يمكن ان يكون فوق العرش ولا يقبل اثبات هذه المحاذاة ولا نفيها لان ذلك انما يلزم ان لو كان متحيزا فأما اذا لم يكن متحيزا امكن أن يكون فوق العالم ولا يوصف باثبات ذلك ولا نفيه فان اثبات العلو مع عدم المحاذاة والمساماة غير معقول أو معلوم الفساد فيقال لهم اثبات الوجود مع عدم المباينة والمحايثة والدخول والخروج أبعد عن العقول وأبين فسادا فى المعقول وكل عاقل سليم الفطرة اذا عرضت عليه وجود موجود خارج العالم غير محاذ للعالم ووجود موجود لا داخل العالم ولا خارجه تكون نفرة فطرته عن الثانى أعظم وان قدر ان

فطرته تقبل الثانى فقبولها للأول أعظم وحينئذ فما يذكره النفاة من انتفاء وجود موجود لا داخل ولا خارجه أما أن يكون مقبولا وأما أن لا يكون فان لم يكن مقبولا بطل أصل قولهم وان كان مقبولا فكل ما دل على ذلك كانت دلالته على امكان وجود موجود خارج العالم ليس بمتحيز أقوى وأظهر فانه اذا ثبت أن هذا ممكن فى العقل فذاك أولى بالامكان واذا كان ذلك ممكنا لم يكن ما يذكرونه من الأدلة على نفى التحيز نافيا لعلوه على العالم وارتفاعه على عرشه فلا يكون لهم دليل على نفى ذلك وهذا هو المطلوب فاذا بطل ما ينفون به ذلك فمعلوم أن السمعيات تدل على ذلك اما دلالة قطعية واما ظاهرة والظواهر التى لا معارض لها لا يجوز صرفها عن ظواهرها فكيف اذا قيل ان العلو والمباينة معلوم بالفطرة والضرورة والأدلة العقلية النظرية كما هو مبسوط فى موضعه ومما يوضح هذا أن النفاة اثبتوا موجودا لا داخل العالم ولا خارجه فانهم لا يثبتون بالضرورة لا وجوده ولا امكان وجوده بل كلاهما يثبتونه بالنظر بخلاف المثبتة فانهم يقولون امتناع هذا معلوم بالضرورة وقد يقولون علو الخالق معلوم أيضا بالفطرة التى فطر الناس عليها التى هى أقوى العلوم الضرورية فان ما فطر الناس عليه من المعارف أقوى من كونهم مضطرين اليه من المعارف التى لا يضطرون اليها الا بعد تصور طرفيها وبعد نوع من التأمل والضرورى قد يفسر بما يلزم نفس المخلوق لزوما لا يمكن الانفكاك عنه وقد يفسر بما يحصل للعبد بدون كسبه واختياره والمقصود ان القول بوجود موجود لا داخل العالم ولا خارجه لم يقل أحد من العقلاء أنه معلوم بالضرورة وكذلك سائر لوازم هذا القول مثل كونه ليس بجسم ولا متحيز ونحو ذلك لم يقل أحد من العقلاء ان هذا النفى معلوم بالضرورة بل غاية ما يدعى فى ذلك أنه من العلوم النظرية والعلوم النظرية لابد أن تنتهى الى مقدمات ضرورية والا لزم الدور القبلى

والتسلسل فيما له مبدأ حادث وكل من هذين معلوم الفساد بالضرورة متفق على فساده بين العقلاء وإذا كان كذلك فما من مقدمة ضرورية يبنى عليها الإمكان والإثبات لوجود موجود لا داخل العالم ولا خارجه وألا انتفاء هذه النتيجة أقوى في العقل من تلك المقدمة والجزم بكونها ضرورية الانتفاء أولى من الجزم بكون مقدمة الدليل المعارض ضرورية يوضح ذلك أن المعارض غايته أن يقول لو كان خارج العالم لكان جسما أو لكان متحيزا وذلك منتف فلا يكون خارج العالم ودليل الذين ينفون ذلك مقدمات فيها من الخفاء والاشتباه ما لا يخفى على من نظر في ذلك ولسبب ما فيها من الخفاء والاشتباه أحسن الظن بها كثير من الناس وحسن ظنهم بها مستند الى تقليد من قالها لا الى حزم عقولهم بها فهم ينهون العامة عن تقليد الرسل فيما اخبرت به من صفات الله لزعمهم أن العقل عارضها مع الجزم بان الرسل لا تقول الا حقا وهم يقلدون رؤسهم في معارضة ذلك بمقدمات يزعمونها عقليات وانباعهم لم تجزم بها عقولهم لكنهم يقلدون رؤسهم فيها ولهذا تجدهم اذا حقق الامر فيها ونوزعوا فيها وبين لهم مستند المنع فيها الجوا الى الجهل الصريح فاما ان يحيلوا بالجواب على من مات او غاب وهو عند التحقيق ادخل منهم في الارتياب والاضطراب واما ان يخرجوا عما يجب في المناظرة والجدال الى حال اهل الظلم وسفهاء الرجال واما ان يتوهموا ان هذا كفر يخالف الدين وهم في قولهم قد خالفوا الكتاب والرسول واتبعوا غير سبيل المؤمنين وقالوا ما لم يقله احد من الصحابة والتابعين ولا غيرهم من ائمة المسلمين ومما يوضح الامر في ذلك ان النفاة ليس لهم دليل واحد اتفقوا على مقدماته بل كل طائفة تقدح في دليل الاخرى فالفلاسفة تقدح في دليل المعتزلة على نفي الصفات بل على نفي الجسم والتحيز ونحوى ذلك لان دليل المعتزله مبنى على ان القديم لا يكون

حاملا للصفات والحركات فلا يكون جسما ولا متحيزا لان الصفات أعراض وهم يستدلون على حدوث الجسم بحدوث الاعراض والحركات وأن الجسم لا يخلو منها وما لم يخل من الحوادث فهو حادث بل الاشعرى نفسه ذكر فى رسالته الى أهل الثغر أن هذا الدليل الذى استدلوا به على حدوث العالم وهو الاستدلال على حدوث الاجسام بحدوث أعراضها هو دليل محرم فى شرائع الانبياء ولم يستدل به أحد من الرسل وأتباعهم وذكر فى مصنف له آخر بيان عجز المعتزلة عن اقامة الدليل على نفى أنه جسم وابو حامد الغزالى وغيره من ائمة النظر بينوا فساد طرق الفلاسفة التى نفوا بها الصفات وبينوا عجزهم عن اقامة دليل نفى أنه جسم بل عن دليل على التوحيد وأنه لا يمكن نفى الجسم الا بالطريق الاول الذى هو طريق المعتزلة الذى ذكر الاشعرى فى ما ذكر فاذا كان كل من فضلاء النظار وان كيانهم يقدح فى مقدمات دليل الفريق الآخر الذى يزعم أنه بنى عليه النفى كان فى هذا دليل على أن هذه المقدمات الضرورية ضرورية اذ الضروريات لا يمكن القدح فيها وان قيل أن هؤلاء قدحوا فى هذه المقدمات الضرورية قيل واذا جوزتم على ائمة النقاة أن يقدحوا بالباطل فى المقدمات الضرورية التى يستدل بها أهل الاثبات أولى وأحرى وقد بسط فى غير هذا الموضع الكلام على أدلة النقاة ومقدمات تلك الادلة على وجه التفصيل حيث تبين لكل عقل خروج أصحابها عن سواء السبيل وأنهم قوم سفسطوا فى العقليات وقرمطوا فى السمعيات ليس معهم على نفيهم لا عقل ولا سمع لا رأى سديد ولا شرع بل معهم شبهات يظنها من لم يتأملها بيانات كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاءه لم يجد شيئا ووجد الله عنده فوفاه حسابه والله سريع الحساب ولهذا تغلب عليهم الحيرة والارتياب والشك والاضطراب وقد صارت تلك الشبهات عندهم مقدمات مسلمة يظنونها عقليات أو برهانيات وانما

٢ عجزهم

ليست على النفى الذى يعتقدونه فلان يقدحوا الباطل فى المقدمات الضرورية التى يستدل بها

هى مسلمات لما فيها من الاشتباه والاشتراك فلا تجد لهم مقدمة الا وفيها
الفاظ مشتبهة فيها من الاجمال والالتباس ما يضل بها من يضل من الناس فكيف
تكون النتيجة المتبنة بمثل هذه المقدمات رافعة فى تلك القضايا الضروريات
وهذا الذى قد نبه عليه فى هذا المقام كلما أمعن الناظر فيه وفيما تكلم اهل النفى
فيه ازداد بصيرة ومعرفة بما فيه فانه لا يتصور ان يبنى النفى على مقدمات ضرورية
تساوى فى جزم العقل بها مقدمات أهل الاثبات الجازمة بفساد نتيجة قول النقاة
واذا كانت العقل جازما بفساد نتيجتهم وهو قولهم انه موجود لا داخل العالم ولا
خارجه جزما لا يساويه فيه جزم العقل بالمقدمات التى بنى عليها هذه النتيجة النافية
امتنع ان يزول ذلك الجزم العقلى الضرورى بنتيجة مقدمات ليست مثله فى الجزم وهذا
الكلام قبل النظر فى تلك المقدمات المعارضة لهذا الجزم هل هى صحيحة أم فاسدة وانما
المقصود هنا انه لا يصلح للناظر ولا يقبل من الناظر ان يعارض هذا الجزم المستقر فى
الفطرة بما يزعمه من الادلة النظرية وهذا المقام كاف فى دفعه وان لم يحل شبهاته
كما يكفى فى دفع السوفسطائى ان يقال له فيما ينفيه هذه قضايا ضرورية فلا يقبل
نفيها بما يذكره من الشبهة النظرية اما الجواب الثانى التفصيلى فهو بيان فساد حجج
النقاة على ان كان ما ادعوه قالت المتبنة ما ذكروه من الحجج على اثبات موجود
لا داخل العالم ولا خارجه حجج سوفسطائية ان الانسانية المشتركة بين الاناسى
ونحوها من الكليات فهذه لا يقال انها موجودة خارج الذهن لا داخل العالم ولا
خارجه فانها امور ثابتة فى الذهن والتصور واذا قيل انها موجودة فى الخارج
فلا بد ان تكون عينا قائمة بنفسها او صفة قائمة بالعين ولا ريب انها لا
توجد فى الخارج كلية مطلقة بشرط الاطلاق وانما توجد فى الخارج معينة
متشخصة فقول القائل ان التفتيش يخرج من المحسوس ما هو معقول ان اراد
انه معقول ثابت فى العقل فما هو ثابت فى العقل ليس هو الموجود فى الخارج بعينه

وان اراد بخرج من المحسوس الموجود فى الخارج امرا معقولا ليس هو فى الذهن فهذا باطل فليس فى الانسان المعين الا ما هو معين وهو هذا الانسان المعين بدنه وروحه وصفات ذلك وهذا كله امر معين مقيد مشخص ليس هو كليا ولا مطلقا وما ذكروه من اثبات المشائين عقولا ونفوسا لا داخل العالم ولا خارجه ليس بحجة بل هم مخصومون بهذه الحجة وغيرها كما يخصم بها نظراؤهم لاسيما وقولهم بذلك ابين فسادا واوضح حجة من اقوال تلك الصفات والعلو فكيف يستدل على القول بما هو اضعف منه وابعد عن الحق وقد علم ان عامة العقلاء من اهل الملل وغيرهم يردون هذا عليهم واما قوله انهم لم يكونوا بذلك قائلين ما يعلم فساده بالضرورة فليس الامر كذلك بل المتبسة الذين يقولون ان الموجودين لابد ان يكونا متباينين او متحايثين يقولون ان ما ادعاه هؤلاء مما يخالف هذا معلوم الفساد بالضرورة بل ائمة اهل الكلام النافون للعلو يدعون الامر الضرورى بان الممكن اما جسم واما قائم بجسم وان ما اثبته هؤلاء الفلسفة من موجودات ممكنة ليست اجساما ولا اعراضا قائمة بالاجسام كالعقل والنفس والهيولى والصورة التى يدعون انها جواهر عقلية موجودة خارج الذهن

اجساما ليست ولا اعراضا لاجسام فان ائمة النظر يقولون ان فساد هذا معلوم بالضرورة كما ذكر ذلك ابو المعالى الجوينى وامثاله من ائمة النظر والكلام ومن لم يهتد لهذا كالشهرستانى والرازى والآمدى ونحوهم فهم ناظروا الفلاسفة مناظرة ضعيفة ولم يثبتوا فساد اصولهم كما بين ذلك ائمة النظر الذين هم اجل منهم وسلم هؤلاء للفلاسفة مقدمات باطلة استنزلوهم بها عن اشياء من الحق بخلاف ائمة النظر كالقاضى ابى بكر وابى المعالى الجوينى وابى حامد الغزالى وابى الحسين البصرى وابى عبد الله محمد بن الهيصم الكرامى وابى الوفاء على بن عقيل

ومن قبل هؤلاء مثل أبي علي الجبائي وابنه أبي هاشم وأبي الحسن الأشعري والحسن
ابن يحيى البوشنجي ومن قبل هؤلاء كأبي عبد الله محمد بن كرام وابن كلاب وجعفر
ابن بشر وجعفر بن حرب وأبي إسحاق النظام وأبي الهذيل العلاف وعمرو بن
بحر الجاحظ وهشام الجواليقي وهشام بن الحكم وحسين بن محمد النجار وضرار بن عمرو
الكوفي وأبي عيسى محمد بن عيسى بن برغوث وحفص الفرد وغير هؤلاء ممن لا
يحصيهم إلا الله من أئمة النظر والكلام وغير هؤلاء فإن مناظرة هؤلاء للمتفلسفة
خير من مناظرة أولئك وغيرهم لا يسلمون للفلاسفة إمكان وجود ممكن لا
هو جسم ولا قائم بجسم بل قد صرح أئمتهم بأن بطلان هذا القسم الثالث
معلوم بالضرورة بل قد بين ابو محمد بن كلاب أمام الصفاتية كأبي العباس
القلانسي وأبي الحسن الأشعري وأبي عبد الله بن مجاهد وغيرهم انحصار الموجودات
في المباين والمحايث وأن قول من أثبت موجودا غير مباين ولا محايث معلوم
الفساد بالضرورة مثل ما بين أولئك انحصار الممكنات في الأجسام وأعراضها
وطوائف من النظار قالوا ما ثم موجود إلا جسم أو قائم بجسم إذا فسر الجسم بالمعنى
الإصطلاحي لا اللغوي كما هو مستقر في فطر العامة وهذا قول كثير من الفلاسفة
أو أكثرهم وكذلك أيضا الأئمة الكبار كالإمام أحمد في رده على الجهمية وعبد العزيز المكي
في رده على الجهمية وغيرهما بينوا أن ما ادعاه النفاة من إثبات قسم ثالث ليس بمباين ولا
محايث معلوم الفساد بصريح العقل وأن هذا من القضايا البينة التي يعلمها العقلاء بعقولهم
وإثبات لفظ الجسم ونفيه بدعة لم يتكلم بها أحد من السلف والأئمة كما لم يثبتوا لفظ
التحيز ولا نفوه ولا لفظ الجهة ولا نفوه ولكن أثبتوا الصفات التي جاء بها الكتاب
والسنة ونفوا مماثلة المخلوقات ومن نظر في كلام الناس في هذا الباب وجد
عامة المشهورين بالعقل والعلم يصرحون بأن إثبات وجود موجود لا محايث
للآخر ولا مباين ونحو ذلك معلوم الفساد بصريح العقل وضرورته وأما الحجة
الثالثة فقوله أن العقل يقسم المعلوم الى مباين ومحايث وليس بمباين ولا
محايث ونظائره فيقال له هذا كتقسيمه المعلوم الى واجب وممكن وما ليس

بواجب ولا ممكن والى قديم ومحدث وما ليس بقديم ولا محدث والى قائم بنفسه وقائم بغيره وما ليس بقائم بنفسه ولا بغيره وامثال ذلك تقديرات الذهن ومعلوم ان مثل ذلك لا يدل على امكان ذلك فى الخارج فليس كل ما فرضه الذهن من الاقسام والتقديرات فى الاذهان يكون موجودا فى الخارج او ممكنا فى الاعيان بل الذهن يقسم ما يخطر له الى واجب وممتنع وممكن والى موجود ومعدوم فالذهن يقدر كل ما يخطر بالبال ومعلوم ان فى الممتنعات ما لا يجوز وجوده خارج الذهن واما قوله ان التقسيم الى مباين ومحايث لا يعلم فساده كما يعلم ان الواحد نصف الاثنين فنقول ان القضايا الضرورية ليس من شرطها ان يكون مفرداتها بينة ابتداء لكل احد بل شرطها ان يكون مفرداتها اذا تصورت جزم العقل بها وتصور الواحد والاثنين بين لكل احد فلهذا كان التصديق التابع له ابين من غيره ولهذا لم يكن هذا فى العقل كبيان ان خمسة وخمسين وربعا وثمنا نصف مائة وعشرة ونصف وربع وكلاهما ضرورى وتظائر هذا كثيرة ومعنى المباين والمحايث ليس بينا ابتداء اذ اللفظ فى اجمال كما تقدم ولكن اذا بين معناه لاهل العقل جزموا بانتفاء قسم ثالث كما ان معنى القديم والمحدث والواجب والممكن والجوهر والعرض ونحو ذلك مما لم يكن بينا بنفسه لعامة العقلاء لم يجزموا بانحصار الموجود فى هذين القسمين فاذا بين لهم المعنى جزموا بذلك فاذا قيل للعقلاء يجوز موجودين قائمين بانفسهما لا يكون هذا خارجا عن الآخر مباينا له ولا داخلا فيه ولا معه ولا قريبا منه ولا بعيدا عنه ولا فوقه ولا تحته ولا عن يمينه ولا عن يساره ولا امامه ولا وراءه ولا يتصور ان يسير احدهما الى الآخر ولا يذهب اليه ولا يقرب منه ولا يبعد عنه ولا يتحرك اليه ولا عنه ولا يقبل اليه ولا يعرض عنه ولا يحتجب عنه ولا يتجلى له ولا يظهر لعينه ولا يستتر عنه وامثال هذه المعانى التى يقولها النفاة علم العقلاء بالاضطرار امتناع وجود مثل هذين واما قول المعارض ان هذا انما يعقل فيما هو جسم متحيز فاذا قدر ما ليس بجسم ولا متحيز خلا عن هذين القسمين ولم تنحصر القسمة

حينئذ فى احدهما فيقال اولا لفظ الجسم والحيز والجهة الفاظ فيها اجمال وابهام
وهى الفاظ اصطلاحيه وقد يراد بها معان متنوعة ولم يرد فى الكتاب والسنة فى
هذه الالفاظ لا نفى ولا اثبات ولا جاء عن احد من سلف الامة وائمتها فيها نفى
ولا اثبات اصلا والمعارضة بها ليست معارضة بدلالة شرعية لا من كتاب
ولا من سنة ولا اجماع بل ولا اثر لا من صاحب ولا تابع ولا امام من المسلمين
بل الائمة الكبار انكروا على المتكلمين بها وجعلوهم من اهل الكلام الباطل المبتدع
وقالوا فيهم اقوالا غليظة معروفة عن الائمة كقول الشافعى رحمة الله عليه حكمى
فى اهل الكلام ان يضربوا بالجريد ويطاف بهم فى القبائل والعشائر ويقال هذا
جزاء من ترك الكتاب والسنة واقبل على الكلام وبالجملة فمعلوم ان الالفاظ
نوعان لفظ ورد فى الكتاب والسنة او الاجماع فهذا اللفظ يجب القول بموجبه
سواء فهمنا معناه او لم نفهمه لان الرسول لا يقول الا حقا والامة لا تجتمع على
ضلالة والثانى لفظ لم يرد به دليل شرعى كهذه الالفاظ التى تنازع فيها اهل
الكلام والفلسفة هذا يقول هو متحيز وهذا يقول ليس بمتحيز وهذا يقول هو فى
جهة وهذا يقول ليس فى جهة وهذا يقول هو جسم او جوهر وهذا يقول ليس
بجسم ولا جوهر فهذه الالفاظ ليس على احد ان يقول فيها بنفى ولا اثبات حتى
يستفسر المتكلم بذلك فان بين انه اثبت حقا اثبته وان اثبت باطلا رده وان نفى
باطلا نفاه وان نفى حقا لم ينفه وكثير من هؤلاء يجمعون فى هذه الاسماء بين الحق
والباطل والنفى والاثبات فمن قال انه فى جهة واراد بذلك انه داخل محسور
فى شئ من المخلوقات كائنا من كان لم يسلم له هذا الاثبات وهذا قول الحلولية
وان قال انه مباين للمخلوقات فوقها لم يمانع فى هذا الاثبات بل هذا ضد قول
الحلوليه ومن قال ليس فى جهة واراد انه ليس داخلا فى شئ من المخلوقات
سلم له هذا النفى وان اراد انه ليس مباينا للعالم ولا فوقه لم يسلم له هذا
النفى وكذلك لفظ التحيز يراد به ما احاط به شئ موجود كقوله تعالى ومتحيز الى فئة

ويراد به من حان عن غيره وباينه فمن قال أن الله تعالى متحيز بالمعنى الاول لم يسلم له ومن أراد أنه مباين للمخلوقات سلم له المعنى وان لم يطلق اللفظ اذا تبين هذا واذا قال القائل هذا التقسيم معلوم بالاضطرار فقبل هذا انما يعقل في متحيز أو ذي جهة لم يكن هذا قادحا فيما علم بالاضطرار بل يقول اما ان يكون هذا لازما واما ان لا يكون فان لم يكن لازما بطل السؤال وان كان لازما فلازم الضروري حق فان القضايا الضرورية اذا كانت مستلزمة لامور دل ذلك على صحة تلك اللوازم ولم يمكن الاستدلال على بطلانها بنفي تلك اللوازم لان نفيها نظري والنظري لا يقدح في الضروري وقوله اذا قدر موجود ليس بمتحيز ولا ذي جهة لم يصح في هذا التقسيم فيقال له ثبوته على هذا التقدير لا يقتضي ثبوته في نفس الامر الا ان يكون التقدير ثابتا في نفس الامر وهذا التقسيم ينفي ثبوت هذا التقدير في نفس الامر واذا كان التقسيم معلوما بالاضطرار كان من لوازم ذلك انتفاء هذا التقدير فلا يقبل اثبات هذا التقدير بالنظر لان ذلك يتضمن القدح في الضروري بالنظري واذا لم يكن الى اثبات هذا التقدير سبيل لم يظهر فساد التقسيم بتقدير ثبوته لان ذلك يتضمن فساد التقسيم بتقدير ثبوت ما لم يثبت ولا يمكن اثباته وايضا فلو قدر ان اثبات هذا التقدير ممكن كان هذا من باب المعارضة لا من باب منع شئ من المقدمات والمعارضة تحتاج الى اقامة الدليل ابتداء وسوف نتكلم على ذلك ولو قال المعترض انا امنع صحة التقسيم واجعل هذا سندا لمنعي لم يصح لانه يقال المنع انما يقول في مقدمة لم يستدل عليها والمستدل قد بين صحة التقسيم بالضرورة فلا يصح منعه لكن اذا ثبت ان كان وجود موجود لا داخل العالم ولا خارجه كان هذا استدلالا على نقيض قول المنازع وحينئذ يكون غاصبا لمنصب الاستدلال فان الغصب هو منع المقدمة باثبات نقيض المطلوب وحقيقته ان يقول لو صح

صحة

دليل المستدل لفسد مذهبي ومذهبي لم يفسد لكنت وليت فهذا غصب
لمنصب الاستدلال فلا يقبل وهكذا اذا منع التقسيم باثبات هذا التقدير
فهذا التقدير هو مذهبه اذ يدعي وجود موجود لا يقبل هذا التقسيم وهذا محل
النزاع فاذا استدل على امكانه كان غاصبا فلا يقبل منه فتبين ان الدلالة تامة
فصار هذا الاعتراض بمنزلة ان يقال اذا قدر موجود ليس بقديم ولا محدث
لم يصح تقسيم الموجود الى محدث وقديم واذا قدر موجود ليس بواجب ولا ممكن
ولا قائم بنفسه ولا قائم بغيره لم يصح تقسيم الموجود الى الواجب والممكن
والقائم بنفسه والقائم بغيره ومعلوم ان التقسيم المعلوم بالاضطرار لا
يفسد بتقدير نقيضه وانما يفسد التقسيم بثبوت ما ينافضه واذا كان المناقض
لا يعلم الا بالنظر لم يصح ان يكون مناقضا فعلم ان هذا من باب معارضة الضروري
بالنظري فلا يكون مقبولا ولا يكون حقا ثم للناس في هذا المقام اربعة اجوبة
قول من يقول هذا التقسيم معقول مطلقا وهذا التقدير لا اتكلم في ثبوته ولا نفيه
لان ذلك قدح في الضروريات بالنظريات وهذا غير مقبول بمنزلة حجج السوفسطائيه
فان ما علمناه بالاضطرار وقدح فيه بعض الناس بالنظر والجدل لم يكن علينا
ان نجيب عن المعارض جوابا مفصلا يبين حكمه بل يكفينا ان نعلم انه فاسد
لانه عارض الضروري وما عارضه فهو فاسد وهذا جواب خلق من اصحاب
الحديث والفقه والكلام وغيرهم عن مثل هذا وهؤلاء يقول احدهم لا اقول
انه متحيز ولا غير متحيز ولا في جهة ولا في غير جهة بل اعلم انه مباين للعالم وانه
يمتنع ان يكون لا مباينا ولا مداخلا وهذا كما اذا قال القرمطي الباطني لا اقول
هو موجود ولا معدوم ولا عالم ولا جاهل ولا قادر ولا عاجز لان ذلك
من صفات الاجسام فان الجسم ينقسم الى حي وميت وعالم وجاهل وقادر
وعاجز وموجود ومعدوم فاذا قدرنا ما ليس بجسم لم يكن عالما ولا جاهلا
ولا قادرا ولا عاجزا ولا حيا ولا ميتا كان كلام القرمطي هنا بمنزلة قول
هؤلاء الجهمية انه لا داخل العالم ولا خارجه وقول جهم والقرامطة

من جنس واحد كما نقله عن الفريقين اصحاب المقالات وقالوا انه لا يقال شيء
ولا ليس بشيء فمن نفى عنه هذين المتقابلين اللذين لا بد للموجود من أحدهما
لم يمكنه قطع القرامطة ولهذا كان مناظرة هؤلاء للقرامطة ضعيفة كما
هو مبسوط فى موضعه الجواب الثانى قول من يقول بل أقول انه ليس بمتحيز
ولا فى جهة وأقول مع ذلك أنه مباين للعالم وهذا قول من يقول أنه فوق
العالم وليس بجسم ولا جوهر ولا متحيز كما يقول ذلك من يقوله من الكلابية
والأشعرية والكرامية ومن وافقهم من الفقهاء من أتباع الأئمة الأربعة
وأهل الحديث والصوفية وإذا قيل لهؤلاء اثبات مباين ليس بمتحيز مخالف
لضرورة العقل قالوا اثبات موجود لا محايث ولا مباين اظهر فسادا
فى ضرورة العقل من هذا فان كان قضاء العقل مقبولا كان قولكم فاسدا
وحينئذ حصل المطلوب من كونه مباينا للعالم وان كان قضاء العقل مردودا
بطلت حجتكم على ابطال قولنا أنه فوق العالم مباين له وليس بجسم ولا جوهر
وإذا لم يكن ثم حجة على بطلان كونه فوق العالم لم يجز نفى ذلك وحينئذ
فالسمعيات قد دلت على ذلك مع الفطرة فيلزم على هذا التقدير أن يكون
مباينا للعالم فهذا تحقيق جيد قد تقدم التنبيه عليه ايضا فان هؤلاء
النفاة يجعلون العقل حجة لهم ولا يجعلونه حجة عليهم ويحتجون على خصومهم
بقضايا ضرورية ويخالفونهم فى القضايا الضرورية التى هى ابين منها وكل
ما يطعنون به فى حجة مخالفيهم مثل قولهم هذا من قضايا الوهم والخيال لا من
قضايا العقل فيطعن به فى حجتهم هذه ... فيقال لنفيكم لوجود موجود مباين
ليس بجسم ولا متحيز هو من قضايا الوهم والخيال لا من قضايا العقل فالمتدبر
الفاضل هذا المقام الجواب الثالث قول من يلتزم أنه متحيز او فى جهة أو أنه
جسم ويقول لا دلالة على نفى شيء من ذلك وأدلة النفاة لذلك أدلة فاسدة
فانهم متفقون على أن نفى ذلك ليس معلوما بالضرورة وانما يدعون النظر

ونفاة ذلك لم يتفقوا على دليل واحد بل كل منهم يطعن فى دليل الآخر والفلاسفة
الذين ينفون ذلك بناء على نفى الصفاة يطعن النفاة من أهل الكلام مع غيرهم
من العقلاء، وأهل الإثبات فى أدلتهم وهو الدليل المبنى على حدوث ما قامت
به الأعراض والأفعال والكلام على أقوال أهل الإثبات المثبتة لفساد أدلة
النفاة وما فى هذه المواضع من الأقوال المشتبهة والكلام الدقيق والبحوث
العقلية مبسوط مذكور فى غير هذا الموضع الجواب الرابع قول أهل الاستفصال
وهم الذين يقولون لفظ التحيز والجهة والجسم والجوهر ونحو ذلك الفاظ مجملة
ليس لها أصل من كتاب الله ولا من سنة رسول الله ولا قالها أحد من سلف
الأمة وأئمتها فى حق الله تعالى لا نفيا ولا إثباتا وحينئذ فاطلاق القول بنفيها
وإثباتها ليس من مذهب أهل السنة والجماعة بلا ريب ولا عليه دليل شرعى بل
الإطلاق من الطرفين مما ابتدعه أهل الكلام الخائضون فى ذلك فاذا تكلمنا
معهم بالبحث العقلى استفصلناهم عما أرادوا بهذه الألفاظ فان قال المثبت
المراد بكونه متحيزا أو جسما أو فى جهة أنه فى جوف المخلوقات أو أن المخلوقات
تحوزه أو أنه يماثلها أو يجوز عليه ما يجوز عليها أو نحو ذلك فهذا باطل ومباينته
للعالم لا تقتضى أن يكون على هذا التقدير متحيزا ولا فى جهة ولا جسما وان قال
النافى لذلك انما كان فوق العالم فهو فى جهة وهو متحيز وهو جسم وذلك
محال قيل له نفى أنه مباين للعالم باطل ولازم الباطل باطل فاذا كان
نفى مسميات هذه الألفاظ ملزوما لنفى المباينة كان نفيها باطلا والأدلة
المذكورة على نفى مسماها بهذا الاعتبار باطلة ويقول المثبت نفى مباينته
للعالم وعلوه على خلقه باطل بل هذه الأمور مستلزمة لتكذيب الرسول
فيما أثبته لربه وأخبر به عنه وهو كفر أيضا لكن ليس كل من تكلم بالكفر يكفر
حتى تقوم عليه الحجة المثبتة للكفر وإذا قامت عليه الحجة كفر حينئذ بل نفى
هذه الأمور مستلزم لتكذيب الرسول فيما أثبته لربه وأخبر به عنه بل
نفى للصانع وتعطيل له فى الحقيقة وإذا كان نفى هذه الأشياء مستلزما

للكفر بهذا الاعتبار وقد نفاها طوائف كثيرة من أهل الايمان فلازم المذهب ليس بمذهب الا أن يلتزمه صاحب المذهب فخلق كثير من الناس ينفون ألفاظا أو يثبتونها بل ينفون معانى أو يثبتونها ويكون ذلك مستلزما لأمور هى كفر وهم لا يعلمون باللازم بل يتناقضون وما أكثر تناقض الناس لا سيما فى هذا الباب وليس التناقض كفرا ويقول الناظم أنا اخبرت أن من قال ذلك فهو مفتون وفاتن وهذا حق لانه فتن غيره بقوله وفتنه غيره وليس كل من فتن يكون كافرا وادعيت أن من قال ذلك كان قوله مستلزما للتعطيل فيكون الكفر كامنا فى قوله والكامن فى الشئ

فيه لا يجب أن يكون ظاهرا ولو كان الكفر ظاهرا فى قوله لزم تكفير القائل أما اذا كان كامنا وهو خفى لم يكفر به من لم يعلم حقيقة ما تضمنه من الكفر وان كان متضمنا للكفر ومستلزما له وأما لفظ الجسم فهذا لفظ مجمل لا أصل له فى الشرع ففيه واثباته يفتقر الى تفصيل ودليل كما تقدم وأما ان قال المثبت لذلك المراد أنه فوق العالم ومباين له قيل له هذا المعنى صحيح وان قال النافى لذلك المراد أنه لا يحويه المخلوقات ولا تماثله قيل هذا المعنى صحيح ولا منافاة بين قوليكما فانه فوق العالم مباين له والمخلوقات لا تحصره ولا تحويه ولا يفتقر الى العرش ولا غيره مع أنه عال عليها مباين لها وليس مماثلا لها ولا يجوز عليه ما يجوز عليها فهذه المعانى صحيحة من النافى والمثبت مقبولة وتلك المعانى منهما مردودة والحمد لله رب العالمين وهذا الذى يجيب به أهل الاثبات للدهرية من أنه سبحانه تقوم به الأفعال التى نشاهد ويقدر عليها وبذلك يخلق المخلوقات المنفصلة عنه مطابق لما جاءت به الآثار المأثورة عن الرسل صلوات الله عليهم فان الله اخبر أنه خلق السموات والأرض فى ستة أيام ثم استوى على العرش وقبل استوائه على العرش استوى الى السماء وهى دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعا او كرها قالتا أتينا طائعين فهذا ونحو مما جاء فى مبدأ الخلق وأما فى الاعادة فقد قال تعالى وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات

بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون وقد ثبت في الصحيح عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال يقبض الله الأرض ويطوي السموات بيمينه ثم يقول أنا الملك أين ملوك الأرض وفي الصحيحين عن ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ على المنبر هذه الآية ثم قال يطوي الله السموات بيمينه ويقبض الأرض بيده اليمنى الأخرى ثم يقول أنا الملك أنا الملك أنا القدوس أنا السلام أنا المؤمن أنا المهيمن أنا العزيز أنا الجبار أنا المتكبر أنا الذي بدأت الدنيا ولم تك شيئا أنا الذي أعدتها وجعل رسول الله صلى عليه وسلم يقبض يديه ويبسطهما والمنبر يتحرك من أسفله حتى أني أقول أساقط هو برسول الله صلى عليه وسلم وعن ابن عباس أنه قال ما السموات السبع والأرضون السبع وما فيهما في يد الرحمن الا كخردلة في كف أحدكم ويروى أنه قال يرمي بها كما يرمي الصبي بالكرة فهذا يبين أن الأفلاك لا سبيل لها الى قدرة الله تعالى مع كونه سبحانه يطوي السماء ويقبض الأرض وفي الصحيحين عن ابن مسعود أن رجلا من اليهود قال للنبي صلى الله عليه وسلم أن الله اذا كان يوم القيامة فانه يمسك السماء على أصبع والأرض على أصبع والشجر والثرى على أصبع والجبال على أصبع والخلائق على أصبع قال فضحك النبي صلى الله عليه وسلم تعجبا وتصديقا لقول الحبر ثم قرأ وما قدروا الله حق قدره الآية فهذا يبين من عمل الرب سبحانه ما يدفع شبهة المتفلسفة فصل وهذا التقسيم الذي ذكره السائل هو معروف في كلام السلف والأئمة يحتجون به على الجهمية النفاة لمباينته لمخلوقاته وعلوه على عرشه قال الامام أحمد في كتابه الذي كتبه في الرد على الجهمية الزنادقة بيان ما أنكرت الجهمية الضلال أن يكون الله على العرش وقد قال تعالى الرحمن على العرش استوى وقال تعالى خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش قلنا لهم ما أنكرتم ان يكون الله تعالى على العرش وقد قال تعالى الرحمن على العرش استوى فقالوا هو تحت

الارض السابعة كما هو على العرش وفى السموات وفى الأرض وفى كل مكان
لايخلو منه مكان ولا يكون فى مكان دون مكان وتلوا آيات من القرآن
وهو الله فى السموات وفى الأرض فقلنا قد علم المسلمون أماكن كثيرة ليس
فيها من عظم الرب شئ أحشاؤكم وأجوافكم وأجواف الخنازير والحشوش
والأماكن القذره ليس فيها من عظم الرب شئ وقد أخبرنا أنه فى السماء فقال
ءأمنتم من فى السماء ان يخسف بكم الأرض وقال جل ثناؤه اليه يصعد
الكلم الطيب وقال تعالى انى متوفيك ورافعك الىّ وقال تعالى بل رفعه
الله اليه وقال تعالى وله من فى السموات ومن فى الأرض ومن عنده لا
يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون وقال تعالى ذى المعارج تعرج
الملائكة والروح اليه وقال تعالى وهو القاهر فوق عباده وقال تعالى وهو العلى
العظيم قال فقد أخبر الله تعالى أنه فى السماء ووجدنا كل شئ من أسفل مذمومًا
يقول جل ثناؤه ان المنافقين فى الدرك الاسفل من النار وقال تعالى وقال
الذين كفروا ربنا أرنا اللذين أضلانا من الجن والأنس نجعلهما تحت أقدامنا
ليكونا من الأسفلين وقلنا لهم اليس تعلمون ان ابليس مكانه مكان والشياطين
مكانهم مكان فلم يكن الله ليجمع هو وابليس فى مكان واحد ومعنى قوله
وهو الله فى السموات وفى الارض يقول هو اله من فى السموات واله من فى
الأرض وهو على العرش وقد أحاط علمه بما دون العرش لايخلو من علم الله مكان
ولا يكون علم الله فى مكان دون مكان وذلك قوله لتعلموا أن الله على كل شئ
قدير وأن الله قد أحاط بكل شئ علما قال ومن الاعتبار فى ذلك لو أن رجلا
كان فى يده قدح من قوارير صاف وفيه شئ لكان نظر ابن آدم قد أحاط
بالقدح من غير أن يكون ابن آدم فى القدح فالله سبحانه وله المثل الاعلى قد أحاط
بجميع ما خلق من غير أن يكون فى شئ من خلقه وخصلة أخرى لو أن رجلا بنى
دارا بجميع مرافقها ثم أغلق بابها وخرج منها كان ابن آدم لايخفى عليك

كم بيت في داره وكم سعة كل بيت من غير ان يكون صاحب الدار في جوف الدار فالله
سبحانه وله المثل الأعلى قد أحاط بجميع ما خلق وعلم كيف هو وما هو من غير ان يكون في
شئ مما خلق وما أولت الجهمية من قول الله تعالى ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم
فقالوا أن الله معنا وفينا فقلنا لهم لم قطعتم الخبر من أوله ان الله تعالى يقول الم تر أن
الله يعلم ما في السموات وما في الارض ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم ولا
خمسة الا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر الا هو معهم اينما كانوا يعني
علمه فيهم اينما كانوا ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة أن الله بكل شئ عليم ففتح الخبر
بعلمه وختمه بعلمه ويقال للجهمي اذا قال أن الله معنا بعظمة نفسه قيل لهم هل
يغفر الله لكم فيما بينكم وبين خلقه فان قال نعم فقد زعم أن الله مباين خلقه
وأن خلقه دونه وان قال لا كفر قال واذا أردت أن تعلم أن الجهمي كاذب على الله
تعالى حين زعم أنه في كل مكان ولا يكون في مكان دون مكان فقل له اليس كان
الله ولا شئ فيقول نعم فقل له فحين خلق الشئ خلقه في نفسه أو خارجا عن نفسه
فانه يصير الى أحد ثلاثة أقاويل أن زعم أن الله تعالى خلق الخلق في نفسه كفر
حين زعم أن الجن والانس والشياطين وابليس في نفسه وان قال خلقهم خارجا
من نفسه ثم دخل فيهم كفر أيضا حين زعم أنه دخل في كل مكان وحش وقذر
وان قال خلقهم خارجا من نفسه ثم لم يدخل فيهم رجع عن قوله كله اجمع وهو قول
أهل السنة فقد بين الامام أحمد ما هو معلوم بالعقل الصريح والفطرة البديهية
من أنه لا بد أن يكون خلق الخلق داخلا في نفسه أو خارجا منه وأنه اذا كان خلق
الخلق خارجا عن نفسه فأما أن يكون حل فيه بعد ذلك أو لم يزل مباينا له فذكر
الأقسام الثلاثة وقال أيضا فلما ظهرت الحجة على الجهمي بما ادعى على الله سبحانه
أنه مع خلقه قال هو في كل شئ غير أن يكون مماسا للشئ ولا مباينا له فقلنا اذا
كان غير مباين للشئ أو مماس له قال لا قلنا فكيف يكون في كل شئ غير مماس
لشئ ولا مباين له فلم يحسن الجواب فقال بلا كيف ليخدع الجهال بهذه الكلمة

ويموه عليهم وكذلك قال عبد العزيز المكي صاحب الشافعي صاحب الحيدة المشهورة
في كتاب الرد على الزنادقة والجهمية باب قول الجهمي في قول الله عز وجل الرحمن على
العرش استوى أنما المعنى استولى كقول العرب استوى فلان على مصر استوى على
الشام يريد استولى عليها باب البيان لذلك يقال له هل يكون خلق من خلق الله
أتت عليه مدة ليس بمستول عليه فإذا قال لا قيل له فمن زعم ذلك فمن قوله من
زعم ذلك فهو كافر يقال له يلزمك أن تقول أن العرش قد أتت عليه مدة ليس
الله بمستول عليه وذلك أن الله أخبر أنه خلق العرش قبل خلق السموات والأرض
في ستة أيام ثم استوى على العرش بعد خلق السموات والأرض قال الله عز وجل الذي
خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش الرحمن فاسأل
به خبيرا وقال عز وجل الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم وقال عز وجل
ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سموات وقال عز وجل ثم استوى إلى السماء وهي
دخان فأخبر أنه استوى على العرش بعد خلق السموات والأرض في ستة أيام فيلزمك
أن تقول المدة التي كان العرش فيها قبل خلق السموات والأرض ليس الله تعالى بمستول عليه
فيها إذا كان استوى على العرش معناه عندك استولى فأنما استولى برعمك في ذلك
الوقت لا قبله وقد روي عن عمران بن حصين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال
أقبل البشرى يا بني تميم قالوا بشرتنا فأعطنا قال أقبل البشرى يا أهل اليمن
قالوا قبلنا فأخبرنا عن أول هذا الأمر كيف كان قال كان الله قبل كل شيء
وكان عرشه على الماء وكتب في اللوح المحفوظ ذكر كل شيء وروى عن أبي رزين
العقيلي وكان يعجب النبي صلى الله عليه وسلم مسألته أنه قال يا رسول الله
أين كان ربنا قبل أن يخلق السموات والأرض قال كان في عماء فوقه هواء وتحته
هواء فقال الجهمي أخبرني كيف استوى على العرش أهو كما يقول استوى فلان
على السرير فيكون السرير قد حوى فلانا وحده إذا كان عليه فيلزمك أن تقول

أن العرش قد حوى الله وحده إذا كان عليه فيقال له أما قولك كيف استوى
فان الله لا تجري عليه كيف وقد أخبرنا أنه استوى على العرش ولم يخبرنا عن كيف
استوى لأنه لم يخبرهم كيف ذلك ولم تره العيون في الدنيا فتصفه بما رأت وحرم
عليهم أن يقولوا عليه ما لا يعلمون فأمنوا بخبره عن الاستواء ثم ردوا علم كيف
استوى الى الله عز وجل ولكن يلزمك أيها الجهمي أن تقول أن الله محدود قد
حوته الأماكن إذا زعمت في دعواك أنه في الأماكن لأنه لا يعقل شيء في مكان
إلا والمكان قد حواه كما تقول العرب فلان في البيت والماء في الجب فالبيت قد
حوى فلانا والجب قد حوى الماء ويلزمك أشنع من ذلك لأنك قلت أفظع
مما قالت النصارى وذلك أنهم قالوا أن الله عز وجل حل في عيسى وعيسى
بدن انسان واحد فكفروا بذلك فقيل لهم ما عظمتم الله إذ جعلتموه في
بطن مريم وأنتم تقولون أنه في كل مكان وفي بطون النساء كلهن وبدن
عيسى وأبدان الناس كلهم ويلزمك أن تقول أن الله في أجواف الكلاب
والخنازير لأنها أماكن وعندك أنه في كل مكان تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا
قال فلما شنعت مقالته قال أقول أن الله في كل مكان لا كالشيء في الشيء ولا كالشيء
على الشيء ولا كالشيء خارجا عن الشيء ولا مباينا للشيء قال يقال له اصل قولك
هو القياس العقلي والمعقول فقد دللت بالقياس والمعقول على أنك لا تعبد
شيئا لأنه لو كان شيئا ما خلا في القياس والمعقول من أن يكون داخلا في
الشيء أو خارجا منه فلما لم يكن في قولك شيئا استحال أن يكون كالشيء
في الشيء أو خارجا عن الشيء فوصفت لعمري شيئا لا وجود له وهو دينك وأصل
مقالتك التعطيل فهذا عبد العزيز المكي قد بين أن القياس والمعقول يوجب
أنما لا يكون داخلا في الشيء ولا خارجا عنه فانه لا يكون شيئا وأن ذلك صفة
المعدوم الذي لا وجود له فالقياس هو الأدلة العقلية والمعقول العلوم الضرورية

وكذلك أبو محمد عبد الله بن سعيد بن كلاب أمام المتكلمة الصفاتية كالقلانسي
والأشعري وأتباعه بنيهما جمعه أبو بكر بن فورك من كلام ابن كلاب أنه قال وأخرج
من النظر والخبر قول من قال لا هو في العالم ولا خارجا منه فنفاه نفيا مستويا لأنه
لو قيل له صفه بالعدم ما قدر أن يقول فيه أكثر من هذا ورد أخبار الله نصا
وقال ما لا يجوز في نص ولا معقول وزعم أن هذا هو التوحيد الخالص والنفي الخالص
عندهم هو الإثبات الخالص وهم عند أنفسهم قياسون قال فإن قالوا هذا
أفصاح منكم يخلو الأماكن منه وانفراد العرش به قيل أن كنتم تعنون بخلو
الأماكن منه خلوها من تدبيره وأنه غير عالم بها فلا وأن كنتم تذهبون إلى
خلوه من استوائه عليها كما استوى على العرش فنحن لا نختشم أن نقول استوى
الله على العرش ونختشم أن نقول استوى على الأرض واستوى على الجدار
وفي صدر البيت وقال أبو محمد بن كلاب أيضا يقال لهم أهو فوق ما خلق
فإن قالوا نعم قيل لهم ما تعنون بقولكم أنه فوق ما خلق فإن قالوا بالقدرة
والعزة قيل ليس هذا سؤالنا وإن قالوا المسألة خطأ قيل لهم أفليس هو
فوق فإن قالوا نعم ليس هو فوق وليس هو تحت فإن قالوا نعم لا فوق ولا تحت
أعدموه لأن ما كان لا فوق ولا تحت عدم وإن قالوا هو تحت وهو فوق
قيل لهم فيلزم أن يكون تحت وفوق وقال ابن كلاب أيضا يقال لهم إذا
قلنا الإنسان لا مماس ولا مباين للمكان فهذا المحال فلا بد من نعم قيل
لهم فهو عز وجل لا مماس ولا مباين فإذا قالوا نعم قيل لهم فهو بصفة المحال
الذي لا يكون ولا يثبت في الوهم فإذا قالوا نعم فينبغي أن يكون بصفة المحال من
كل جهة كما كان المحال من هذه الجهة وقيل لهم أيقال لما هو غير ثابت من
الإنسان لا مماس ولا مباين فإذا قالوا نعم قيل فأخبرونا عن معبودكم مماس
هو أو مباين فإذا قالوا لا يوصف بهما قيل لهم فصفة إثبات الخالق كصفة عدم

لهم

المخلوق فلم لا تقولون عدم كما تقولون للانسان عدم اذا وصفتموه بصفة العدم
وقيل لهم اذا كان عدم المخلوق وجودا له كان جهل المخلوق علما له لانكم جعلتم العدم
الذى هو للمخلوق وجودا له واذا كان العدم وجودا كان الجهل علما والعجز قدرة
وقال ابن كلاب ايضا ورسول الله صلى الله وسلم الذى هو صفوة الله من خلقه
وخيرته من بريته واعلمهم جميعا يخبر بالاين يقوله ويستصوب قول القائل انه
فى السماء وشهد له بالايمان عند ذلك وجهم بن صفوان واصحابه لا يجيزون الاين
بزعمهم ويحيلون القول به ولو كان خطأ لكان رسول الله صلى عليه وسلم احق
بالانكار له وكان ينبغى ان يقول لها لا تقولى ذلك فتوهمى انه عز وجل محدود
وانه فى مكان دون مكان ولكن قولى انه فى كل مكان لانه هو الصواب دون ما قلت
كلا فلقد اجازه رسول الله صلى الله وسلم وشهد مع علمه بما فيه وانه من الايمان
بل الامر الذى يجب به الايمان لقائله ومن اجله شهد للجارية بالايمان حين قالته
وكيف يكون الحق فى خلاف ذلك والكتاب ناطق به وشاهد له ولو لم يشهد لصحة
مذهب الجماعة فى هذا خاصة الا ما ذكرناه من هذه الامور لكان فيه ما يكفى
كيف وقد غرس فى بيت الفطرة ومعارف الآدميين من ذلك ما لا شئ ابين منه
ولا اوكد لانك لا تسأل احدا من الناس عربيا ولا عجميا ولا مؤمنا ولا كافرا
فتقول اين ربك الا قال فى السماء ان افصح او ما يديه او اشار بطرفه ان كان
لا ينصح ولا يشير الى غير ذلك من ارض ولا سهل ولا جبل ولا رأينا احدا اذا
دعا الله عز وجل الا رافعا يده الى السماء ولا وجدنا احدا غير الجهمية يسألون
ربه فيقول فى كل مكان كما يقولون وهم يدعون انهم افضل الناس كلهم فتاهت العقول
وسقطت الاخبار واهتدى جهم وخمسون رجلا معه نعوذ بالله من مضلات

الفتن فهذا آخر كلام ابن كلاب وهو شيخ أبي الحسن الأشعري وأتباعهم وعنه أخذ
الحارث المحاسبي وقد ذكر الحارث المحاسبي في كتاب فهم القرآن هو وغيره من ذلك
ما هو مذكور في غير هذا الموضع فإن كلام السلف والأئمة في ذلك كثير والله تعالى
أعلم تمت ولله تعالى الحمد والمنة على عونه وحسن توفيقه وصلى الله تعالى على سيدنا
محمد وعلى آله وصحبه وسلم

يقول الفقير الى ربه تعالى عبد المتعال بن محمد بن محمد بن عبد القادر المزلاوي قد
فرغت من نسخ هذه الرسالة الجليلة الفريدة في بابها التي اجهزت على كل قول
من أقوال الجهمية والمعطلة والمعتزلة والفلاسفة والقرامطة الحلولية وغير ذلك
صباح يوم الجمعة من فرق التجهم والتعطيل في أربعة من شهر ربيع الأول سنة الف وثلاثة
مائة وسنة وخمسة هجرية من خط شيخنا واستاذنا الشيخ سبحانه مصطفى
عليه من الله تعالى الرحمة والرضوان قال رحمه الله تعالى بقول كاتبها الفقير لرحمة
الله سبحانه وتعالى سبحانة بن مصطفى بن سبحانة بن عويضة السوهاني قد فرغت
من كتابة هذه الرسالة النفيسة المباركة الشريفة يوم الثلاثاء الثاني عشر من شهر
ذي الحجة من سنة اثنين واربعين بعد الالف والثلاث مائة من الهجرة المحمدية
على صاحبها افضل الصلاة والتحية من نسخة مخطوطة بخط الشيخ السلفي
محمد بن عبد الرزاق بن حمزة بن تقي الدين يقول في آخر صحيفة منها قد فرغت
من نسخ هذه الرسالة في مساء الجمعة سابع ذي القعدة من سنة احدى
واربعين وثلاث مائة والف هجرية من رسالة مخطوطة بدار الكتب الاميرية
المصرية ضمن مجموعة نمرة سنة وثلاثين واربعمائة والفين في فن التصوف

١٢٤١

والمجموعة كلها أجوبة للشيخ ابن تيمية والرسالة التي نقلت عنها قال كاتبها
أنه نقلها من خط الشيخ الإمام العالم برهان الدين ابراهيم بن الشيخ الإمام
العلامة الورع الزاهد العابد ابي العباس أحمد بن محب الدين عبد الله بن محمد
المقدسي نفعه الله تعالى ونفع به آمين قال الشيخ محمد بن عبد الرزاق
المذكور وقابلتها بمعاونة الأخ محمد محمد عبد العزيز بتاريخ صباح يوم
الاربعاء التاسع عشر من ذي القعدة من سنة أحدى واربعين وثلاثمائة
والف من هجرة رسول الله سيدنا محمد صلى الله تعالى عليه وعلى آله وصحبه
وسلم تسليما كثيرا كثيرا